

## جمال الطبيعة وطبيعة الحب

الطبيعة هي النبع الذي يولد على ضفافه كل شيء جميل ومعطاء ومثير وساحر في هذا العالم، عالم الإنسان والحيوان والنبات والفرشات والطيور، وعالم البحار والجبال والزهور والعبور. إن من طبع الطبيعة أن تعيش حالة دائمة من التطور والنمو والعطاء، عطاء الأرض والسماء، ذلك العطاء الذي يحقق ذاته من خلال تطور النباتات وتوالدها ونموها وإثمارها، وتبدل ألوان الورود والزهور وأوراق الشجر كلما حل الخريف وكلما رحل الشتاء، وتنوع الحيوانات التي تعيش بيننا وفي الأدغال كرفيق يخفف وحدة الوحيد والغريب من الناس، وتكاثر الطيور التي لا تتعب من الغناء ولا من دعوتنا كي نحتفل معها بمواسم الهجرة والعودة والحنين. إن الطبيعة ومخلوقاتنا الكثيرة تعيش حياتها وتمارس نشاطاتها كقدوة لنا، تعلمنا الصبر والتأمل والتعامل مع المخاطر المحدقة بها وبنا بشجاعة، وتعودنا على التأقلم لمزاجها المتقلب وقوانينها الصارمة دون أن تؤذينا. إن العيش مع الطبيعة والاستمتاع بجماليتها وسحرها وغرائبها يتطلب فهم سرها، والإصغاء لهمساتها في الصباح وفي المساء، وحيث تكون على طبيعتها تتمايل غيا والنسيم يراقصها بعيدا عن ضوضاء المدينة وصخب الأشياء. إن أكثر ما يؤذي الطبيعة ويضعف قدرتها على العطاء هي المخلوقات والأشياء التي تعادي سكون الليل وتعندي على صفو السماء، وتعمل على تشويه وجه الأرض وتقوم بتعميق جروحها. إن عطاء الطبيعة هو تعبير صادق عن الوفاء للذات ولكل شيء حي يعيش في أحضانها، وهو رجاء في الوقت ذاته أن نحافظ عليها كي تبقى جميلة ومعطاءة ورائعة، ونبع حياة وسحر وعطر لا يتوقف عن التجدد. إن من لا يحس بحضور الطبيعة أينما ذهب، ولا يستمتع بجمالها الساحر أينما كان، ولا يستنشق عطرها بشغف، ليس باستطاعته أن يحس بحضور الإنسان في داخله، ولا أن يستمتع بجمال الآخر في عينيه، ولا أن يتذوق حلاوة الحب أو رحيق العشق.

يصف الشعراء قوام المرأة الجميلة بالغزال، وشعرها بسواد الليل أو بلون الغروب، وعيونها بالنجوم، وعطرها بالياسمين، ووجهها بالقمر، وشفاتها بالكرز. فهل يستطيع رجل أن يستمتع بجمال المرأة دون أن يستمتع برؤية غزال ينعم في البرية بصحبة الغير بعيدا عن عيون الصيادين؟ وهل بإمكان رجل أو امرأة أن تعي كنه الجمال إذا صعب عليها أن تجلس ساكنة في محراب الليل وعلى مرآي من شمس تغرب بكبرياء؟ وهل هناك جلسات أروع من حلقات السهر والسمر مع قمر يناجي نجوما ترنو إليه بشوق؟ وهل يمكن لإنسان أن يتذوق طعم الخمر أو أن يتخيل لون الخمر المعتق إذا حرم نفسه من تذوق طعم الكرز والتلذذ برائحته ولونه القرمزي؟ المرأة هي غزال شارد في غابة نخيل، والرجل هو قط متعدد الألوان يهوى العيش في البراري، والحب هو همسة ناعسة تتسلل إلى القلب الذي لا يهاب الحياة ولا يخاف المغامرة، ولا يخجل من طبيعته وغرائزه التي تسحره وتغيره كما تسحر الطبيعة الورود وتبدل الفصول.

إن إدراك الإنسان لتعدد أوجه الجمال في الطبيعة واستمتاعه بها هو طريق الحب الحقيقي الذي يسحر العاشق ويأخذه بعيدا عن مكانه دون أن يغادر المكان، ويسرقه من زمانه إلى عالم خيال بلا حدود مع البقاء في نفس الزمان. إن من يعجز عن التمتع بالطبيعة لا يستطيع أن يحب، ومن لا يستطيع أن يحب لا يستطيع أن يفهم لغز الحب، أو يتأثر بسحره. إن من يفوته قطار الحب ولا يعيش تجربة حب بكل إثارتها وفرحتها وأحزانها ولو لمرة واحدة في حياته، لن يكون باستطاعته أن يتذوق طعم الحنان أو دفيء العناق، ولا أن يعاني قسوة الشوق وألم الفراق، ولا أن يختزن ألوان الذكريات التي تغذي مشاعر الإنسان الحساسة وتداعب عواطفه الجياشة، وترويها من رحيق الماضي وأمل المستقبل. إن من لا يدرك أن عطاء الطبيعة لا يمكن له أن يستمر ويتعاطم دون رعاية وحنان لن يكون بإمكانه أن يرعى حبا كان، ولا أن يكون وفيًا لصديق في أي زمان.